

المؤرخ أحمد بن محمد الحضراوي ومنهجه في كتابة التاريخ

رسالة ماجستير لابتسام كشميري

كشميري ، ابتسام . المؤرخ أحمد بن محمد الحضراوي ومنهجه في كتابة التاريخ (١٢٥٢ - ١٣٢٧هـ / ١٨٣٦ - ١٩٠٩م) . - رسالة (ماجستير) . - إشراف محمد ثنيان الثنيان . - جدة : جامعة الملك عبدالعزيز ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م . - ١٩٣ ورقة .

ولد المؤرخ أحمد بن محمد الحضراوي في مصر سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م . ثم انتقل مع أسرته للمجاورة في مكة المكرمة وله من العمر سبع سنوات، فنشأ في الحجاز في وقت تجددت فيه أسباب عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في الإقليم . لكن ظل الحرمان الشريفان قلباً نابضاً تلتقي فيهما ثم تتفرع عنهما تيارات الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي كله ثم معلماً اشتهر من تلاميذه نفر عرفوا فيما بعد بوصفهم علماء في الشريعة الإسلامية . متممين بذلك حلقة من سلسلة تواصل المعرفة الإسلامية طوال عصور التاريخ الإسلامي .

آثر الحضراوي حياة الزهد والتقشف مكتفياً في تأمين معاشه بنسخ الكتب بمكافآت لم تكن ثابتة ولا كافية . غير أنه عاش حياة اجتماعية نشطة فوصفه كل معارفه بحسن الخلق وحب العلم . توفي في مكة المكرمة سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .

ألف الحضراوي عدداً من الكتب في علوم الشرع والأدب والتاريخ في

أغلبها ، وشمل الموجود من مؤلفاته في التاريخ أربعة كتب في تاريخ مدن الحجاز الرئيسية مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف ، ومؤلفات أخرى في التراجم والتاريخ للعالم الإسلامي ، ومختصراً عن أمراء الحج . وكان مما ساعد الحضراوي في كتابته للتاريخ صلات أسرته العلمية والعائلية بالأشراف أمراء مكة التي قربته من الجهات الرسمية صانعة الأحداث في الحجاز كما سهلت له رحلاته واشتغاله بتدريس العلم الاختلاط بكافة فئات الناس في الحجاز وخارجه .

أما التأثير الأكبر في شخصية الحضراوي بوصفه مؤرخاً فقد كان لخلفية ثقافته الإسلامية التي عرفت به بأهمية التاريخ وأعطته الكثير من إيجابيات شخصية المؤرخ المسلم كضرورة تحري الصدق ، والأمانة ، والدقة ، والحرص على نقد الخبر على منهج النقد عند المحدثين وإن ورث أيضاً شيئاً من سلبات بعض المؤرخين المسلمين ومنها الأخذ بالخطوط العريضة لمنهج النقد في علم الحديث والذي لا يحرص على تفاصيله في التاريخ الحرص نفسه الذي يؤخذ به في الحديث فكثيراً ما يكتفي بعدالة الراوي . كما وجد في كتابات الحضراوي شيء من التحيز والبعد عن الموضوعية حيث مثلت كتاباته وجهة النظر العثمانية خاصة في عدائها للدولة السعودية الأولى والدعوة السلفية الإصلاحية التي تبنتها متأثراً في ذلك بالدعاية السياسية وكتاباته من سبقه أو عاصره من المؤرخين الحجازيين . ويلاحظ في مؤلفات الحضراوي أيضاً اهتماماً بالبدع والخرافات التي كانت انعكاساً للجمود الفكري في عصره . وقد حددت مدرسة التاريخ الإسلامي لمؤرخنا الموضوعات واختطت له المنهج والإطار العام للأسلوب

فقد كتب في التاريخ السياسي والتراجم وتاريخ الفضائل والمآثر وهي أهم موضوعات التاريخ الإسلامي . وقد كتبها بصور عرض متعارف على توزيع المعلومات التاريخية فيها سلفاً كتواريخ المدن والتاريخ العام الذي كانت تمتد فترته الزمنية من بدء الخليقة حتى زمن تأليف الكتاب متبعاً طريقة السرد التاريخي لا الطريقة الحولية ، وحمل أسلوب الحضراوي نفس الخصائص والطابع العام لمؤلفات التاريخ الإسلامي من حيث سهولة الألفاظ ووضوح المعنى ، وإن اعترى كتاباته كثير من المآخذ اللغوية والنحوية التي نتجت عن حالة التدهور الثقافي التي شكلت ما يقرب من الظاهرة المألوفة في زمنه .

وقد اهتم مؤرخنا في أحيان قليلة بتقصي أسباب الأحداث ولم يكتف بسردها سرداً إخبارياً فقط كما عُنِيَ بتحليل ونقد مصادره الكثيرة والمتنوعة فكان أول من أعاد إلى الأذهان القول بقدم مدينة جدة عن عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه . وإن غاب عنه تفاوت أهمية المصادر في أحيان أخرى خاصة في الفترة السابقة لزمنه أو لما لم يشهد من أحداث عصره . لكن المتتبع لمؤلفات الحضراوي ومعاصره يلحظ دقته في سرد ما عايشه من الأحداث وأمانته في نقلها ، وفيها تنحصر أهمية أعماله . وهو الجزء من مؤلفاته الذي قدره له من أرخ للحجاز أو ترجم لأعيانه فيما بعد إذ كانت مؤلفات الحضراوي من المصادر الأساسية التي اعتمدا عليها في مؤلفاتهم؛ لأن كتابات الحضراوي عما عاصره من أحداث الحجاز أعطت صورة حية صادقة لجوانب الحياة العامة في الإقليم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .